شعر: د. عبدالرحمن صالح العشماوي
السعودية

يا عناق النيلين*

«نفحات شعرية في ربوع السودان»

لوعةَ الحبِّ هل سمعتِ بياني
هل رأيتِ الدموع في أجفاني
هل تهجيت في عيون القوافي
بعض ما سطرت يد الأشجانِ
هل رأيت الحنين والشوق لما
علماني ما صغت من أوزاني

❖ ❖ ❖

لوعة الحب هل رأيت انسياباً
كانسياب النهرين يستبقانِ
يستثيران ما تكنُّ الروابي
من حنين المتيم الولهانِ
تعشق الأرض منهما كل معنى
يتغنى به فم الجريانِ
هل رأت مقلتاك أسمى لقاءً
من لقاء النيلين في السودانِ
هل سمعت التاريخ يتلو بياناً
عن سجايا كُوشٍ وعن كنعانِ
عن رمال الصحراء فيها بقايا
نفحات من قصة الإنسانِ
عن شجون في أرض عيذاب تلقى
في عيون الخرطوم سر الحنانِ

❖ ❖ ❖

لوعة الحب ما تزال الفيافي
تتباهى بحمحمات حصاني

---

* ألقيت في فعاليات أسبوع الأدب السوداني التي أقامتها جامعة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في السودان بمناسبة اختيار السودان عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٥م.

لم يزل ركضه يثير اشتياقاً ... في صدور الآكام والكثبانِ
أدمن السبق في الميادين حتى ... عرف السبقُ منه كسب الرهانِ
منحته البلاغة السحر حتى ... صار رمزا بها لسحر البيانِ
كيف لا يبلغ المدى وهو شعر ... يستقي من منابع القرآنِ

❖ ❖ ❖

يا عناق النيلين ضمخت شعري ... بشذا فرحتي وعطر امتناني
أنتَ أصبحت صورة للتآخي ... ومثالاً لألفة وحنانِ
صورة للوفاء والحبِّ هزت ... منكبيها أمام زحف الزمانِ
صورة شرفت مقام التآخي ... حين شدت إليه أقوى عنانِ
يا أبا الخصب والنماء حروفي ... تتساقى الإلهام من خفقاني
جئت والحبر ضاحك في يراعي ... والقوافي، واللحن طوع بناني
مُشرق في فمي حديث وفائي ... مُورق في دمي ربيع الأماني
مهبط الوحي ساكن في ضلوعي ... وشموخ الأمجاد ملء كياني
جئتُ والمسجد الحرام أمامي ... صورة حية لعز المكانِ
صورة حية لدين حنيف ... كامل الشرع ثابت البنيانِ
غسل الأرض من ضلال غُواة ... دنسوها ومن حياة هوانِ
جئت والكعبة الشريفة رمزٌ ... لسمو الأرواح والأبدانِ
جئت في مقلتي مطاف ومسعى ... وجلال المقام والأركانِ
جئت في مسمعي تلاوة آي ... مُحكمات وفيه صوت الأذانِ
من بلاد تأثل المجد فيها ... وتغنى بنورها المشرقانِ
في ضمير السودان منها شعورٌ ... بانتماء الثمار للأغصانِ
صورة للنسيم عنها حديثٌ ... شاعريٌ يفيض بالألحانِ
حفظتها أفريقيا في خيال ... فيه سر الإبداع والإتقانِ

❖ ❖ ❖

يا ربوع السودان جئت، وعزمي ... وطموحي إلى العلا يحدواني
أنا ما جئت مُفرداً فاشتياقي ... وشعوري بأمتي رافقاني
جئت، فوقي من الجزيرة غُصن ... يعربيٌ وغيمة ظللاني

ولقيت السودان نيلاً وأرضاً ... بيد الحب والرضا صافحاني
ولقيت الشعب الأبي وفيضاً ... من أحاسيس قلبه عانقاني
مرحباً، مرحباً بعروة دين ... جمعتنا على هدى القرآن
أخرجتنا من الرمال حُفاةً ... فوطئنا بها ثرى الإيوان
ومنحنا بها سُراقة تاجاً ... وسواري كسرى الأنوشرواني
وفتحنا للشام منها طريقاً ... أنقذتها من سطوة الرومان

يا ربوع السودان، جئتُ، دليلي ... فيك قلبي، وهمتي عنواني
جئت والعالم الفسيح يعاني ... ما يعاني من سطوة الطغيان
جئت والهيئة العجوز لديها ... لقياس الأمور مكيالان
هيئة تمنح الطغاة وساماً ... من بقايا جماجم الأفغان
هيئة تشتكي فلسطين منها ... مثل شكوى العراق والشيشان
حين مدت لدارفور يديها ... ولجوبا، مدت يدي خوّان
فمها لليهود أدْرَدُ رخو ... وعلينا مُحدد الأسنان
جئت والدولة العظيمة جيشٌ ... يتلوى في الأرض كالثُعبان
ربحت ظُلمها، ويا بؤس ربح ... فيه تبدو حقيقة الخسران
لكأني بكوكب الأرض أمسى ... من أباطيلها على بركان

يا ربوع السودان يا أرض خصب ... مقلتاها بحبها تطفحان
أنا لا أشتكي جنون الأعادي ... وسكوت الأحبار والرُهبان
أنا لا أشتكي تآمر باغٍ ... شد للحرب مئزر الشيطان
إنما أشتكي تخاذُل قومي ... وارتداء الشجاع ثوب الجبان

يا ربوع السودان، جئت محباً ... لفؤادي من لهفتي جانحان
من رآني ولم ير الحب عندي ... فكأن الذي رأى ما رآني
هكذا تقصر المسافات لما ... ترتقي مشاعر الإنسان